موقف الإسلام من‌الشعر

مهدی ممتحن*

عبدالقادر إکرامی**

الملخص

قد تحری الفصحاء والبلغاء قدیما و حدیثا فی إبداء اتجاهاتهم الفکریة و تحلیة رؤسهم المخبوءة فی قالب الشعر لما للشعر من جرس و موسیقی تجعله أبلغ تأثیرا علی الفکر والوجدان و أکثر استجابة للحفظ، و أسرع مخامرة للنفس، و أقوی لصوقا بالقلب.

و لا ترتبط ظاهرة الشعر بالحضارة، بل کانت موجودة عند کل الأمم، فالشعوب البدائیة کان لها شعر أیضا، و لکن‌العرب بفطرتهم مطبوعون علی الشعر لبداوتهم و ملاءمة بیئتهم لتربیة الخیال لأن الشعر فن فیه ذوق و فکر و عاطفة و سمو خیال و إمتاع لنفس فکان‌العرب یبادهون بالشعر و یروونه و یستثیرون به الهمم فی‌الغزوات والحروب، و یستعینون بفحول الشعراء لما جربوا من وقع الشعر و تأثیره فی شحذ الهمم و إثارة الغیرة.

الکلمات‌الدلیلیة: الشعر، الشاعر، الإسلام، القرآن، الحدیث، النبی.

*. أستاذ مشارک بجامعة آزاد الإسلامیة فی جیرفت (دانشیار دانشگاه آزاد اسلامی ـ واحد جیرفت).

*. کاتب و باحث (نویسنده و پژوهشگر).

تاریخ الوصول: ۱۳۸۸/۱/۱۵ هـ. ش تاریخ القبول: ۱۳۸۸/٤/۱۰ هـ. ش

لَمّا جاءالإسلام كان الشعر مرآة الحياة العربية فی شتی نواحی الحياة، و ديوان علومهم و حكمهم و سجل وقائهم و سيرهم، فبقيت مكانة الشعر و منزلته بعدالإسلام علی ما كانت عليها فی الجاهلية. والإسلام لم يهجّن و لم يحطّ الشعر من حيث هو شعر و لم يقلل قيمته. بل إنما هاجم شعرا فيه من‌المعانی التی يتنافی أهداف الدعوة و معالمها. روی عن النبی (ص) أنه قال: «الشعر بمنزلةالكلام: حسنه كحسن الكلام، و قبيحه كقبيح الكلام». (البخاری، ۱۳۷۵هـ . ش، صص۲۲۳ـ۵۶۸)

الأدلة علی جواز إنشاد الشعر والاستماع إليه

كان الرسول (ص) يستمع إلی الشعر و يتذوقه، و يثيب عليه. و يكرم‌الشاعر و يدعو له متی ما وجد فی شعره صلاحا كما فعل مع النابغة الجعدی حين أنشده قصيدته التی مطلعها (القرشی، ۲۰۰۳م، ص ۲۴۰):

خليلیَّ عُوجا ساعة، و تَهجرا ولـــوما أحدث‌الدهر أوذرا

عوجا: أمر من عاج يعوج: رجع و عاج بالمكان: أقام. تهجرا. أمر من تهجر: سار فی‌الهاجرة، أی: فی حرالشمس وسط النهار. ذرا: من وذر يذر: ترک.

و يقول فيها:

أتيتُ رسول‌الله إذ جاء بالهدی و يـتلو كـتابا كـــالمجرة نـــيرا

المجرة: مجموعة من‌النجوم الصغيرة ينتشر ضوءها فيری كأنه بقعة بيضاء.

فلما انتهی إلی هذا البيت:

و لا خيرَ فی حلم إذا لم تكن له بـوادُر تحمی صفوه أن يكدرا

ولا خير فی جهل إذا لم يكن له حـليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

بوادر: جمع بادرة: الغضبة السريعة. يريد أنه لا خير فی حلم إذا لم تكن لصاحبه غضبات تحفظ علی صاحبه كرامته.

الجهل: الغضب، و إيراد الأمر و إصداره: الدخول فی أمر والخروج منه.

قال له النبی (ص): «لا ينفضض الله فاک». فعاش ثلاثمائه سنة لم تسقط له سن حتی

مات. (العسقلانی، لاتا، ج ۶، ص ۳۱۱؛ و ابن عبدربه، ۱۹۸۳م، ج ۱، ص ۸۷)

و کان بجیربن زهیر أسلم قبل أخیه کعب، و شهد مع رسول‌الله (ص) فتح مکة، و کان أخوه کعب أرسل إلیه ینهاه عن‌الإسلام، فبلغ ذلک النبی (ص)، فتواعده فبعث إلیه بجیر یحذره،فأتی کعب إلی رسول الله (ص) و وضع یده فی یدالرسول ثم قال: یا رسول‌الله إن کعب‌بن زهیر لقد أتی مستأمنا تائبا أفتؤمنه فآتیک به؟ قال: هو آمن. فحسر کعب عن وجهه و قال: بأبی أنت و أمی یا رسول‌الله، هذا مکان‌العائذ بک، أنا کعب‌بن زهیر، فأمنه رسول‌الله (ص) و أنشد کعب قصیدته التی یقول فیها بعد تغزله، و ذکر شدة خوفه و وجله:

أنبئتُ أنّ رسـول‌الله أوعـدنی والـعفو عـند رسول‌الله مأمولُ
مهلاً هداک الذی أعطاک نافلة الـقرآن فیها مواعیظٌ و تفصیلُ
لا تأخُذنّی بـأقوال الوشاة و لم أذنـب ولـو کثرت فی‌الأقاویلُ

فلم ینکر علیه النبی (ص) قوله و ما کان لیوعده علی باطل، بل تجاوز عنه و وهب له بردته، فاشتراها منه معاویة بثلاثین ألف درهم. (ابن قتیبة، ۲۰۰۳م، ج ۱، صص ۱۵۳ـ۱۵۵)

و کان رسول‌الله (ص) یستنشد الشعر، کما روی أنه قال لبعض من حضر مجلسه: أنشدنی کلمتک التی تقول فیها:

وحی جمیع‌الناس تسب عقولهم تحیتک الأدنی فقد ترفع النغل

(القرشی، ۲۰۰۳م، ص ۲۸۰)

النغل: الفساد أو العفن یکون فی‌الجرح و غیره، المراد: الإفساد بین‌القوم.

فـإن أظهروا بشراً فأظهر جزاءه و إن ستروا عنک القبیح فلا تسل
فإن الذی یؤذیک منهم سـماعه و إن الـذی قد قیل خلفک لم یقل

و یقول الشریدبن سوید الثقفی: کنت ردفا لرسول‌الله (ص) فقال لی: «أمعک من شعر أمیةبن أبی الصلت شیء» قلت نعم، قال: «فأنشدنی» فأنشدته بیتا، فلم یزل یقول لی کلما أنشدته بیتا: إیه. حتی أنشدته مائة بیت. (ابن حنبل، لاتا، ج ۴، ص ۳۸۹)

و إن‌الرسول (ص) کان یعجب بالشعر و یقول حین یسمع بعض روائعه: «إن من‌البیان

لسحرا و إن من‌الشعر حکما أو حکمة»، (البخاری، ۱۳۷۵هـ . ش، صص ۲۲۲ـ۸۵۸؛ الترمذی، لاتا، ح ۲۸۴۵) و یصدق قائله إن کان مصیبا. کما یقول فی لبید: «أصدق کلمة قالها شاعر کلمة لبید: ألا کل شیء ما خلاالله باطل». (مسلم، ۱۹۹۵م، ج ۸، ص ۱۵)

و واضح أن‌الرسول (ص) کان یحفظ بعض‌الشعر، إذ تضمت خطبة قس‌بن ساعدة التی رواها عنه‌الرسول (ص) ـ کما یقول الجاحظ ـ بعض‌الحکمیة. (الجاحظ، لاتا، ج ۱، صص ۲۰۷ـ۲۰۸)

واتخذ الرسول (ص) الشعر سلاحا ماضیا ضد خصومه من مشرکی قریش و أعداء رسالته. و حض شعراء المسلمین مثل حسان‌بن ثابت، و کعب‌بن مالک، و عبدالله‌بن رواحة. روی بسند صحیح أن رسول‌الله (ص) قال: «اهجوا قریشاً. فانه أشد علیها من رشق بالنبل، فأرسل إلی ابن رواحة فقال: «اهجهم» فهجاهم فلم یرض. فأرسل إلی کعب بن مالک. ثم أرسل إلی حسان‌بن ثابت. فلما دخل علیه، قال حسانُ: قد آن لکم أن ترسلوا إلی هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل یحرکه. فقال: والذی بعثک بالحق لأفرینهم بلسانی فری الادیم، فقال رسول‌الله (ص): «لا تعجعل. فإن أبابکر أعلم قریش بأنسابها. و إن لی فیهم نسباً. حتی یلخص لک نسبی» فأتاه حسان. ثم رجع فقال: یا رسول‌الله (ص) قد لاخصّ لی نسبک. والذی بعثک بالحق لأسلنک منهم کما تسل الشعرة من‌العجین.

قالت عائشة: فسمعت رسول‌الله... یقول لحسان: «إنّ روح‌القدس لا یزال یؤیدک، ما نافحت عن‌الله و رسوله».

و قالت: سمعت رسول‌الله (ص) یقول: «هجاهم حسان‌فشفی واشتفی».

قال حسانُ:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه و عندالله فی ذاک الجزاءُ
هــجوتَ محمداً بــرّا تقیّا رسول‌الله شــیمته الــوفاءُ
فإن أبی و والدهُ و عرضی لعرض محمد مــنکم وقاءُ
ثکلت ببنتی إن لــم تروها تثیر النقع من کــنفی کداءُ

يبارين الأعنة مـصعداتٍ على أكتافها الأسل الظماءُ
تـظل جـيادنا متمطرات تـلطمهن بـالخمر الـنساءُ
فإن أعرضتمو عنا اعـتمرنا وكان‌الفتح وانكشف الغطاءُ
و قال‌الله: قد أرسلت عبداً يقول الحق ليس به خـفاءُ
و قال‌الله: قد يسرت جنداً هم‌الأنصار عرضـتها الـقاء
لـنا فى كل يـوم من معد سـباب أو قتال أو هـجاءُ
فمن يهجو رسول‌الله منكم و يـمدحه و ينصره سواءُ
و جـبريل رسـول‌الله فينا و روح‌القدس ليس له كِفاءُ

(مسلم، ۱۹۹۵م، ج ۸، صص ۲۸۶ـ۲۸۷)

و بلغ رسول‌الله (ص) أن قوما نالوا أبابكر بألسنتهم، فصعد المنبر، فحمدالله و أنثى عليه، ثم قال: «أيها الناس! ليس أحمد منكم أمنَّ علىَّ ذات يده و نفسه من أبى‌بكر، كلكم قال لى: كذبت، و قال لى أبوبكر: صدقت، فلو كنتُ متخذا خليلا لا تخذتُ أبابكر خليلا» ثم التفتَ إلى حسان فقال: «هاتِ ما قلتَ فىَّ و فى أبى‌بكر»، فقال حسان: قلت يا رسول‌الله:

إذا تذكرتَ شجواً من أخٍ ثقةٍ فَاذكر أخاك أبابكر بما فعلا
التالى الثانى المحمود شيمته و أول الناس طرّاً صدق الرّسلا
والثانى‌اثنين‌فى‌الغار‌المنيفِ‌وقد طافَ العدوَّ به إذ صعَّد الجبلا
و كان حبَّ رسول‌الله، قد علموا من‌البرية، لم يعدل به رجلا
خـيرُ الـبرية أتقاها و أرأفها بعد النبى، و أوفاها بما حملا

فقال رسول (ص): «صدقتَ يا حسان، دعوا لى صاحبى». قالها ثلاثا. (القرشى، ۲۰۰۳م، ص ۲۸۵)

أدلة المخالفين والرد عليهم

إن بعض الناس والكتاب المنتصرين للنثر يضعون أسئلة بين أيدينا و يحتجون بآيات

قرآنية و لأحاديث نبوية طعنا علی‌الشعر و تهوين مكانته. فماذا نقول فی ردهم.

من أسئلتهم: لماذا نزَّه الله كتابه القرآن الكريم عن‌الشعر؟ بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ۴۰ـ۴۱) فهذا يحتمل الغض من قيمة‌الشعر. و تنزيه القرآن عن أن يكون شعرا، أو أن يكون الرسول شاعرا ليس طعنا علی‌الشعر بأية صورة من‌الصور، و لا غضا من قيمته، فالأمر لا يخرج عن كونه إقرارا لواقع ثابت لا شک فيه. فالقرآن صورة بيانية فريدة تبعد كل البعد أن تكون شعرا أو سجعا كسجع الكهان، و هما لونان معروفان عندالعرب فی‌الجاهلية، و كان المشركون من‌العرب يريدون التهوين من شأن معجزة‌الرسول فيصفون القرآن بالشعر،و لهذا جاءت الآيات كلها فی نفی أن يكون القرآن شعرا... ردا علی افتراءاتهم،و لهذا هذه‌الآيات مكية للدلالة علی نزولها فی وقت المعارضة‌الشديدة من جانب قريش. (هدارة، ۱۹۹۵م، ص۷۴)

و يقول هؤلاء لو كان للشعر قيمة و منزلة سامية‌فلماذا قال‌الله فی شأن رسوله: ﴿وما علمنه الشعر و ما ينبغی له...﴾ (يس: ۶۹).

أجاب ابن رشيق القيروانی عن هذاالسؤال إجابة صحيحة قائلا: (إن‌العرب نسبوا النبی (ص) إلی الشعر لما غُلبوا، و تبين عجزهم، فقالوا: هو شاعر، لما فی قلوبهم من هيبة الشعر و فخامته، و أنه يقع منه ما لا يلحق» و يتابع قوله: «و لو أن كون‌النبی(ص) غير شاعر غضَّ [الغض: النقص من‌القدر] من‌الشعر، لكانت أميته غضا من‌الكتابة». و قال الزهری: معنی‌الآية: «ما الذی علمناه شعرا و ما ينبغی له أن يُبلغ عنا شعرا». و قال غيره: أراد: «و ما ينبغی له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه، أی: ليس هو ممن يفعل ذلک؛ لأمانته و مشهور صدقه». (القيروانی، ۲۰۰۱م، ج ۱، صص ۱۸ـ۱۹)

فهی رد قاطع علی قول‌العرب أهل مكة: إن‌القرآن شعر أو سحر أو من عمل الكهان، و إن محمداً شاعر، قاصدين بذلک إبطال صفة الوحی به من عندالله، و تكذيب خاصة الرسالة (الزحيلی، ۲۰۰۵م، ج ۱۲، ص ۵۲) ألم نَرَ أن الله ختم الآية بقوله: ﴿... إن هو إلا ذكرٌ و قرآن مبينٌ﴾

و قال السيوطی فی کتابه «المزهر»: نزّه الله تعالی نبیه عن‌الشعر «لأن للشعر شرائط لا یسمی الإنسان بغیرها شاعرا،و ذلک أن إنسانا لو عمل کلاما مستقیما موزونا، یتحری فیه‌الصدق من غیر أن یفرط، أو یتعدی، أو یمین، أو یأتی فیه بأشیاء لا یمکن کونها بتَّة لما سماه الناس شاعرا، و لکان ما یقوله مخسولا ساقطا». (السیوطی، لاتا، ج ۲، صص ۴۶۹ـ۴۷۰)

والاحتجاج علی تهوین منزلةالشعر و الشعراء بهذه‌الآیات: ﴿والشعراء یتبعهم الغاوون ألم ترأنهم فی کل وادٍ یهیمون و أنهم یقولون ما لا یفعلون﴾ [الشعراء: ۲۲۴ـ۲۲۶] خطأ و سوء تأویل، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشرکین الذین تناولوا رسول‌الله (ص) بالهجاء و مسّوه بالأذی. فأما من سواهم من‌المؤمنین فغیر داخل فی شیء من ذلک. (القیروانی، ۲۰۰۱م، ج ۱، ص ۳۲؛ والدمشقی، ۱۹۹۹ م، ج ۸، ص ۲۳۵)

ألاتسمع کیف استثناهم الله عزوجل، و نبه علیهم، فقال: ﴿إلا الذین ءامنوا و عملوا الصالحات و ذکروا الله کثیراً وانتصروا من بعد ما ظلموا...﴾ [الشعراء: ۲۲۷]

لما نزلت: ﴿والشعراء یتبعهم الغاوون﴾ جاء حسان‌بن ثابت و عبدالله‌بن رواحة، و کعب‌بن مالک إلی رسول‌الله (ص) و هم یبکون فقالوا: قد علم‌الله حین أنزل هذه‌الأیةأنّا شعراء، فتلا النبی (ص): ﴿إلا الذین ءامنوا و عملواالصالحات...﴾. قال «أنتم»، ﴿... و ذکروا الله کثیراً...﴾ قال أنتم، ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا...﴾ قال أنتم. (الدمشقی، ۱۹۹۹م، ج ۶، صص ۲۳۷ـ۲۳۸)

و أما قوله ـ علیه‌الصلاة والسلام ـ : «لأن یمتلئ جوف أحدکم قیحا حتی یریه خیر له من أن یمتلئ شعرا» (مسلم، ۱۹۹۵م، ص ۱۶؛ البخاری، ۱۳۷۵ هـ . ش، ص ۲۲۲؛ العسقلانی، لاتا، ج ۱۳، ص ۶۸۴)

فانما هو فیمن غلب‌الشعر علی قلبه، و ملک نفسه حتی شغله عن دینه و إقامة فروضه، و منعه من ذکرالله تعالی و تلاوة القرآن، والشعر و غیره مما جری هذا المجری من شطرنج و غیره سواء (القیروانی، ۲۰۰۱م، ج ۱، ص ۳۳). والحق أن الإسلام لم یردالعرب و غیرهم عن‌الشعر و نظمه، و لم یثبط عنه إلا حین وقف معارضا لدعوته، أما بعد

ذلک فقد کان یرتضیه و یستحسنه. و قد مضی‌الخلفاء الراشدون مهتدین بهدی الإسلام یرددون الشعر علی ألسنتهم. قال محمدبن سلام: «کان عمربن الخطاب لا یکاد یعرض له أمر إلا أنشد فیه بیت شعر». (الجاحظ، لاتا، ج ۱، ص ۱۶۴)

و قد أنشد الشعر کثیر من‌الخلفاء الراشدین والجلة من‌الصحابة، والتابعین،والفقهاء المشهورین، فمن أراد الاطلاع علی أشعارهم و أقوالهم فی فضل الشعر فلیراجع التاریخ والأدب والسیرة النبویة لا سیما کتاب «السیرة النبویة» لابن هشام و کتاب «العمدة فی محاسن العشر و آدابه» لأبی الحسن‌بن رشیق القیروانی.

و کان لبعضهم دیوان من‌الشعر مثل الإمام الشافعی ـ رحمةالله ـ کما نسبوا دیوانا للإمام علی (ع).

من أشعار الإمام علی یوم صفین» (القیروانی، ۲۰۰۱م، ج ۱، ص ۳۷)

لمن رایةٌ سوداء یخفقُ ظلُّها — إذا قلتُ قدِّمها حضینٌ تقدَّمَا

فَیوردُها فـی‌الصف حـتی یردَّبها — حیاضَ‌المنایا تَقطر‌الموتَ والدَّما

و من أشعارالإمام الشافعی: (الشافعی، ۲۰۰۰م، صص ۱۱۱ـ۱۱۲)

دع الأیام تفعل ما تشاءُ — و طب نفسا إذا حکم‌القضاءُ

ولا تجزع لحادثة اللیالی — فما لحوادث الدنیا بقاءُ

وکن رجلا علی الأهوال جلدا — و شیمتک السماحة والوفاءُ

و إن کثرت عیوبک فی البرایا — و سرّک أن یکون لها غِطاءُ

تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فکُلُّ عَیْبٍ — یُغَطِّیهِ کَمَا قِیلَ السَّخَاءُ

یغطّی بالـسماحة کـل عیب — وکـم عـیب یـغطیّه الـسخاءُ

النتیجة

تبین لنا هذه الشواهد و غیرها أن‌الشعر لیس حراما و لا مکروها من حیث هو شعر، و أن‌الإسلام لم یرفض الشعر و لم یغض من قیمته، بل رفع شأنه إن کانت فیه فائدة و لم یخالف مقاصد هذا الدین. ولکن دعا إلی التزام قواعد أخلاقیة فیه. و تنزیه القرآن أن

يكون شعرا أو أن يكون الرسول شاعرا ليس طعنا على‌الشعر و لا غضا من قيمته بل رد على افتراءات المشركين الذين يريدون التهوين من شأن معجزة الرسول فيصفون القرآن بالشعر، و لهذا جميع هذه‌الآيات مكية للدلالة على نزولها فی وقت المعارضة الشديدة من جانب قريش. فلو كان الشعر حراما أو مكروها ما اتخذ النبی (ص) شعراء يثيبهم على الشعر و يأمرهم على إنشاده و يسمعه منهم. والله أعلم بالصواب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن حنبل، أحمد. لاتا. *مسند الإمام أحمدبن حنبل*. بيروت: دارالفكر.

ابن عبد ربه. ۱۹۸۳م. *العقدالفريد*. تحقيق عبدالحمدی الترحينی. ط ۱. بيروت: دارالكتب العلمية.

ابن قتيبة. ۲۰۰۳م. *الشعر والشعراء*. تحقيق و شرح أحمد محمدشاكر. القاهرة: دارالحديث.

البخاری. ۱۳۷۵ هـ. ش. *الأدب المفرد*. تحقيق و تعليق محمد فؤاد عبدالباقی. القاهرة: المطبعة السلفية و مكتبتها.

الترمذی. لاتا. *سنن الترمذی*. تحقيق ناصرالدين الألبانی. ط ۱. الرياض: مكتبة المعارف.

الجاحظ، عمروبن بحر. لاتا. *البيان والتبيين*. بيروت: دار إحياء التراث العربی.

الدمشقی، ابن كثير. ۱۹۹۹م. *تفسيرالقرآن العظيم*. ط ۱. الشارقة: دارالفتح.

الزحيلی، وهبة. ۲۰۰۵م. *التفسير المنير*. دمشق: دار الفكر.

السيوطی، جلال‌الدين. لاتا. *المزهر فی علوم‌اللغة*. بيروت: دار الفكر.

الشافعی، محمدبن ادريس. ۲۰۰۰م. *الديوان*. جمع و شرح محمد عبدالرحيم. بيروت: دار الفكر.

العسقلانی، ابن حجر. لاتا. *الإصابة فی تمييز الصحابة*. بيروت: لانا.

العسقلانی، ابن حجر. لاتا. *فتح‌الباری بشرح صحيح البخاری*. تحقيق سيد الجليمی و ايمن الدمشقی. ط ۱. القاهرة: دار أبی حيان.

القرشى، أبوزيد. ٢٠٠٣م. *جمهرة أشعار العرب*. شرح على فاعور. ط ٣. بيروت: دارالكتب العلمية.

القيروانى، ابن رشيق. ٢٠٠١م. *العمدة فى محاسن الشعر و آدابه*. تحقيق محمداحمد عطا. ط ١. بيروت: دارالكتب العلمية.

مسلم. ١٩٩٥م. *صحيح مسلم بشرح النووى*. تحقيق عصام الصبابطى. ط ١. القاهرة: دار أبى حيان.

هدارة، محمدمصطفى. ١٩٩٥م. *الشعر فى صدرالإسلام والعصرالأموى*. بيروت: دار النهضة العربية.